

## إسرائيليات

### الهجرة الجماعية ليهود الاتحاد السوفياتي إلى إسرائيل تحدّ للعرب وامتحان للصهيونية

سمير جبور

على الرغم من أن أحداً لا يستطيع تقدير حجم هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي بدقة، وعلى الرغم من أن الأوساط الصهيونية والإسرائيلية تتحدث عن أرقام تتراوح بين ربع مليون خلال ثلاثة أعوام ومليون حتى نهاية العقد، في ضوء وتيرتها الحالية (١٠,٠٠٠ مهاجر في الشهر)، فإن الأکید أنها تشكل انعطافاً حاداً في مسيرة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، بعد تعثرها فترة طويلة من الزمن. ولما كانت الهجرة اليهودية في مختلف المراحل والأزمان تشكل عصب الكيان الصهيوني، فإن كلاً من ازدهارها أو تقلصها يتحكم في مصير هذا الكيان مادياً ومعنوياً والتحدي الذي يشكله..

من نافل القول ان لهذه الهجرة جوانب إيجابية من وجهة النظر الإسرائيلية – الصهيونية تتمثل، بين أمور أخرى، في توسيع البنية التحتية البشرية للكيان الصهيوني، وتحريك عجلة الاقتصاد الإسرائيلي التي كان للانتفاضة تأثير كبير في تعثرها، إلى غير ذلك من الإيجابيات التي تصب في خدمة الأهداف الصهيونية القريبة والبعيدة المدى. غير أنها تشكل، في الوقت نفسه، امتحاناً عسيراً للفكرة الصهيونية كلها التي تقوم على اعتبار أن إسرائيل تشكل "وطناً" و"ملجأً أميناً" ليهود العالم كافة. وسيؤثر اجتياز هذا الامتحان أو الإخفاق فيه في جوهر الطروحات الصهيونية سلباً أو إيجاباً، وفي العلاقة بين إسرائيل ويهود العالم.

ولهذا، يتوقف نجاح إسرائيل في هذا الاختبار على قدرتها على إقناع اليهود السوفيات بأن إسرائيل تشكل فعلاً "الوطن البديل" واللحم الجميل. ويحتم هذا كله تتبع تطور هذه الهجرة لمعرفة حجومها وأبعادها، وتقصي مصادر تمويلها، واستجلاء كيفية التعامل معها، واستشفاف العلاقة بينها وبين مصير المناطق المحتلة وتأثيرها

في مجمل مسار القضية الفلسطينية، وما تضيفه من عناصر جديدة على الجدل الدائر في إسرائيل بشأن هذه القضية ومستقبل الكيان الصهيوني أيضاً.

## تطور هجرة اليهود السوفيات خلال السنوات الأخيرة

تحكمت عوامل عديدة في هجرة يهود الاتحاد السوفياتي خلال العقود الأخيرة، كانت تساهم في تسريع هذه الهجرة أو في عرقلتها. وقد خضعت مسألة مغادرة اليهود أراضي الاتحاد السوفياتي لاعتبارات تتعلق بسياسته الداخلية تجاه القوميات المتعددة فيه، ولاعتبارات أخرى تتعلق بالعلاقات بين الشرق والغرب. إذ استطاعت الحركة الصهيونية وإسرائيل إقحام مسألة مغادرة اليهود للاتحاد السوفياتي في العلاقات بين الكتلتين العظميين تحت شعار "حماية حقوق الإنسان". وتجدر الإشارة إلى أن الجهود التي بذلتها الحركة الصهيونية خلال السنوات الأخيرة لحمل اليهود السوفيات على الهجرة إلى إسرائيل، جاءت بعكس النتائج التي سعت لتحقيقها. فأكثرية يهود الاتحاد السوفياتي استغلت هذه الجهود لتأمين المغادرة، لكنها غيرت وجهتها إلى دول الغرب، ولا سيما الولايات المتحدة.

إن نحو نصف مليون مواطن هاجر من الاتحاد السوفياتي منذ الحرب العالمية الثانية في إطار ما سمي "الهجرة السوفياتية الثالثة". وقد بلغ عدد اليهود بين هؤلاء المهاجرين أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ يهودي. وقد وصل جميع اليهود الذين غادروا الاتحاد السوفياتي خلال السنوات ١٩٤٨ - ١٩٧٠ (٢٥٠,٠٠٠ نسمة) تقريباً إلى إسرائيل. كما أن ٦٣٪ من ٢٤٩,٠٠٠ غادروا الاتحاد السوفياتي خلال السنوات ١٩٧١ - ١٩٨٠ وصلوا إلى إسرائيل. وخلال الفترة التي شهدت تراجعاً كبيراً في حجوم الهجرة، ١٩٨٠ - ١٩٨٦، إذ لم يغادر الاتحاد السوفياتي سوى ١٧,٠٠٠ يهودي، وصل إلى إسرائيل ٢٣٪ منهم فقط. وقد ازدادت نسبة الذين يفضلون بلداً آخر على إسرائيل باستمرار، مع ازدياد تدفق المغادرين منذ سنة ١٩٨٧، إذ إن أقل من ١٠٪ من الذين غادروا، في أواخر سنة ١٩٨٨ وأوائل سنة ١٩٨٩، اختاروا الذهاب إلى إسرائيل.<sup>(١)</sup>

(١) أفرايم تفوري، "الهوية اليهودية الإسرائيلية في نظرة إسرائيل إلى المهاجرين من الاتحاد السوفياتي"، "غيشر"، العدد ١١٩، ربيع ١٩٨٩، ص ٢١.

وبموجب المعلومات التي أدلى يتسحاق شمير رئيس الحكومة الإسرائيلية بها، أمام لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست، فإنه منذ سنة ١٩٧٨ حتى سنة ١٩٨٩ وصل إلى إسرائيل ١٦٧,٠٠٠ يهودي سوفياتي من ٢٩٧,٠٠٠ يهودي غادروا الاتحاد السوفياتي.<sup>(2)</sup>

وقد شهدت السنوات الثلاث الأخيرة تقلبات في عدد اليهود السوفيات الذين وصلوا إلى إسرائيل؛ فمن ٨١٥٥ يهودياً غادروا الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٨٧، وصل منهم ٢٠٧٢ فقط إلى إسرائيل. ومن ١٨,٩٦١ يهودياً غادروا الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٨٨، لم يصل منهم إلى إسرائيل سوى ٢١٧٣ يهودياً (أنظر الجدول).

### المهاجرون سنة ١٩٨٩

شهدت سنة ١٩٨٩ زيادة مطردة في عدد اليهود السوفيات الذين غادروا الاتحاد السوفياتي، وبالتالي الذين وصلوا إلى إسرائيل. لكن هذا العدد بقي ضئيلاً قياساً بعدد المغادرين للاتحاد السوفياتي. ففي شباط/فبراير - مثلاً - غادر الاتحاد السوفياتي ٢٢٢٦ يهودياً، لم يصل منهم إلى إسرائيل سوى ٢٣٢. وبين ١ و ١٢ آذار/مارس ١٩٨٩، غادر الاتحاد السوفياتي ١٦٤١ يهودياً، لم يصل منهم إلى إسرائيل سوى ٦٠ شخصاً. وعندما زار وزير الاستيعاب، يتسحاق بيرتس، فيينا قابله وفد من اليهود هناك وقال له ان جميع اليهود الموجودين في فيينا "مصممون على الوصول إلى إسرائيل."<sup>(3)</sup>

وفي نيسان/أبريل، هاجر من الاتحاد السوفياتي ٤١٢٩ يهودياً، لم يصل منهم إلى إسرائيل سوى ٨٧، وتوجه الباقيون إلى الولايات المتحدة (بحسب مصادر اللجنة الحكومية للهجرة في الاتحاد السوفياتي).<sup>(4)</sup> وبحسب يتسحاق شمير، رئيس الحكومة الإسرائيلية، خرج من الاتحاد السوفياتي خلال الأشهر الخمسة الأولى من سنة ١٩٨٩، نحو ٢١ ألف يهودي، وصل منهم إلى إسرائيل ٢٠٠٠ فقط.<sup>(5)</sup>

(2) "عال همشمار"، ١٩٨٩/٦/٢٧.

(3) المصدر نفسه، ١٩٨٩/٣/١٤.

(4) "هآرتس"، ١٩٨٩/٥/٤.

(5) "يديעות أchronوت"، ١٩٨٩/٦/٢٧.

## خروج اليهود من الاتحاد السوفياتي الهجرة والتساقط ١٩٦٨ - ١٩٨٨

السنة	عدد المغادرين	المهاجرون إلى إسرائيل	عدد المتساقطين
١٩٦٨	٢٣١	٢٣٠	
١٩٦٩	٣٠٣٣	٣٠٣٢	-
١٩٧٠	٩٩٩	٩٩٩	-
١٩٧١	١٢,٨٩٧	١٢,٨٣٩	٥٨
١٩٧٢	٣١,٩٠٣	٣١,٦٥٢	٢٥١
١٩٧٣	٣٤,٧٣٣	٣٣,٢٧٧	١٤٥٦
١٩٧٤	٢٠,٧٦٧	١٦,٨٨٨	٣٨٧٩
١٩٧٥	١٣,٣٦٣	٨٤٢٥	٤٩٢٨
١٩٧٦	١٤,٢٥٤	٧٢٥٠	٧٠٠٤
١٩٧٧	١٦,٨٣٣	٨٣٥٠	٨٤٨٣
١٩٧٨	٢٨,٩٥٦	١٢,٠٩٠	١٦,٨٦٦
١٩٧٩	٥١,٣٣١	١٧,٢٧٨	٢٤,٠٥٣
١٩٨٠	٢١,٦٤٨	٧٥٧٠	١٤,٠٧٨
١٩٨١	٩٤٤٨	١٧٦٢	٧٦٨٦
١٩٨٢	٢٦٩٢	٧٣١	١٩٦١
١٩٨٣	١٣١٤	٨٦١	٤٥٣
١٩٨٤	٨٩٦	٣٤٠	٥٥٦
١٩٨٥	١١٤٠	٣٤٨	٧٩٢
١٩٨٦	٩٠٤	٢٠١	٧٠٣
١٩٨٧	٨١٥٥	٢٠٧٢	٦٠٨٣
١٩٨٨	١٨,٩٦١	٢١٧٣	١٦,٧٨٨
المجموع	٢٩٤,٤٥٨	١٦٨,٣٨٠	١٢٦,٠٧٨

أعد هذه المعلومات المجلس العام من أجل يهود الاتحاد السوفياتي.

المصدر: آفي بيكر، "الغلاسنوست والبيرسترويكا واليهود"، "غيشر"، العدد ١١٩، ربيع ١٩٨٩، ص ١٩.

وأعلن أوري غوردون، رئيس دائرة الهجرة في الوكالة اليهودية، أن النصف الأول من سنة ١٩٨٩ شهد زيادة في عدد المهاجرين الإجمالي ٣٩٪ قياساً بعددهم في الفترة المقابلة من السنة السابقة. فبلغ عدد هؤلاء المهاجرين ٨٢٧٥ شخصاً. وقد نجمت الزيادة الأساسية في عدد المهاجرين عن ازدياد الهجرة من الاتحاد السوفياتي بنسبة ١٧٧٪؛ فبلغ عددهم ٢٨١٢ نسمة، وهؤلاء يشكلون ١٠٪ فقط من مجموع عدد اليهود الذين غادروا الاتحاد السوفياتي خلال تلك الفترة.<sup>(6)</sup>

وابتداء من النصف الثاني من سنة ١٩٨٩، أخذ بعض المصادر الإسرائيلية ومصادر الوكالة اليهودية يتحدث عن زيادة مطردة في عدد المهاجرين إلى إسرائيل. ففي تموز/يوليو، غادر الاتحاد السوفياتي ٤٥٣٧ يهودياً، هاجر منهم إلى إسرائيل ٦٤٨ أي ١٤,٣٪، بزيادة ٣٪ عن حزيران/يونيو. وهذا، علاوة على ١٠٠ يهودي سوفياتي كانوا يقيمون في المعسكرات الموقته في فيينا أو إيطاليا اختاروا الهجرة إلى إسرائيل.<sup>(7)</sup> علماً بأن غوردون أعلن أن عدد الذين غادروا الاتحاد السوفياتي خلال تموز/يوليو هو ٣٩٠١، وصل منهم إلى إسرائيل ٥٠١ فقط. وهكذا بلغت نسبة "التساقط" ٨٧٪.<sup>(8)</sup> في حين ذكرت مصادر وزارة استيعاب المهاجرين أن مجموع المهاجرين الذين وصلوا إلى إسرائيل من مختلف الدول خلال تموز/يوليو بلغ ١٧٨٠، بزيادة ٤١٪ عن عددهم في تموز/يوليو ١٩٨٨، غير أن نسبة "تساقط" اليهود السوفيات في فيينا بلغت ٩٨٪.<sup>(9)</sup> وقال الوزير بيرتس عن هذه النتيجة أن وتيرة الهجرة إلى إسرائيل، منذ بداية هذه السنة، مشجعة جداً وأن هذه الإحصاءات تتوافق مع التقديرات السابقة التي قامت وزارته بها. ومع ذلك، أعرب عن قلقه إزاء ازدياد عدد المتساقطين.<sup>(10)</sup>

(6) "عال همشمار"، ١٢/٧/١٩٨٩.

(7) "يديعوت أحرونوت"، ٨/٨/١٩٨٩.

(8) "عال همشمار"، ٨/٨/١٩٨٩.

(9) "يديعوت أحرونوت"، ٨/٨/١٩٨٩.

(10) المصدر نفسه.

وبعد إضافة عدد المهاجرين خلال تموز/يوليو، يكون مجمل اليهود السوفيات الذين غادروا الاتحاد السوفياتي، خلال الأشهر السبعة الأولى من سنة ١٩٨٩، هو ٢٦,٦٨٨ شخصاً، بحسب مصادر المؤتمر الوطني لليهود السوفيات في نيويورك<sup>(11)</sup> وخلال آب/أغسطس، حصل ٩٥٠٠ يهودي سوفياتي على تأشيرة خروج للهجرة إلى إسرائيل، لكن وصل منهم خلال أيلول/سبتمبر، ٨٥٠ فقط (١٠٪ من عدد الذين حصلوا على تأشيرات خروج خلال الأشهر السابقة)<sup>(12)</sup>. وأفادت معلومات الوكالة اليهودية بأن مجمل عدد اليهود الذين غادروا الاتحاد السوفياتي خلال الأشهر الثمانية الأولى من سنة ١٩٨٩، بلغ ٢٨,٥٢٦، وصل منهم إلى إسرائيل ٣٥٢٩ فقط، وهم يشكلون نحو ١١,٥٪. أما الباقي، نحو ٨٩٪، فهم "متساقطون" يرغبون في الهجرة إلى دول أخرى، وفي الأساس إلى الولايات المتحدة<sup>(13)</sup>.

ومرة أخرى، وبموجب مصادر أوري غوردون، فإن ٩١٩٤ يهودياً غادروا الاتحاد السوفياتي في تشرين الأول/أكتوبر، هاجر منهم إلى إسرائيل ١٤٦٤، أي بنسبة ١٦٪ والباقي "تساقطوا" في فيينا. وبلغ مجموع اليهود الذين غادروا الاتحاد السوفياتي منذ بداية سنة ١٩٨٩، نحو ٥١,٠٨٠، هاجر منهم إلى إسرائيل ٧٢٧٥. وأعرب غوردون عن "ارتياحه إلى زيادة عدد المهاجرين" وازدياد طلبات الهجرة<sup>(14)</sup>. وفي تشرين الثاني/نوفمبر وحده غادر الاتحاد السوفياتي ١١,١٦٨ يهودياً، هاجر منهم إلى إسرائيل ١٨٥٠ فقط. أما الباقون، فقد غيروا وجهتهم في فيينا. وهكذا يكون عدد الذين غادروا الاتحاد السوفياتي خلال الأشهر الأحد عشر من سنة ١٩٨٩ نحو ٦٢ ألفاً؛ "وهذا أكبر عدد من اليهود الذين يغادرون الاتحاد السوفياتي منذ أن فتحت أبواب الهجرة أوائل السبعينات." بيد أن ٩٠٠٠ من اليهود الذين غادروا الاتحاد السوفياتي هذه السنة (كانون الثاني/يناير - تشرين الثاني/نوفمبر)، هاجروا إلى إسرائيل<sup>(15)</sup>.

(11) "هآرتس"، ٨/٨/١٩٨٩.

(12) روني عنبار، المراسل في الاتحاد السوفياتي، "هآرتس"، ١٩/٩/١٩٨٩.

(13) يوسف غاليلي، "عال همشمار"، ١١/٩/١٩٨٩.

(14) "عال همشمار"، ١/١١/١٩٨٩.

(15) "هآرتس"، ٧/١٢/١٩٨٩.

## توقعات سنة ١٩٩٠: ١٢٠ ألفاً

في مطلع سنة ١٩٩٠، تصاعدت موجة التوقعات "المتفائلة" بالنسبة إلى هذه السنة، إذ كاد يكون هناك شبه إجماع على أنه في حال استمرار وصول ٤٠٠ - ٥٠٠ مهاجر سوفياتي في اليوم، كما حدث خلال آخر أسبوعين من السنة الماضية، وخلال الأسبوع الأول من السنة الحالية، فمن المتوقع وصول ١٢٠ ألف مهاجر من الاتحاد السوفياتي، أي ثلاثة أضعاف التوقعات السابقة خلال الصيف الماضي.<sup>(16)</sup> وقد توقع سيمحا دينتس، رئيس الوكالة اليهودية، وصول ١٠٠ ألف مهاجر سوفياتي خلال سنة ١٩٩٠، في مقابل توقعات سابقة أشارت إلى هذا الرقم خلال ثلاثة سنوات.<sup>(17)</sup> كما توقع أوربي غوردون أن يصل إلى إسرائيل خلال سنتي ١٩٩٠ و١٩٩١ نحو ٢٥٠ ألف مهاجر. في حين قدر بنيامين ناتنياهو هذا العدد بنصف مليون مهاجر.<sup>(18)</sup> غير أن ميخائيل كلاينر، رئيس لجنة الهجرة والاستيعاب في الكنيست، توقع وصول ربع مليون مهاجر سوفياتي في السنة المقبلة وحدها.<sup>(19)</sup> و"يعتقد سيمحا دينتس أن عدد اليهود في الاتحاد السوفياتي يزيد على مليونين ونصف المليون، وهو يتوقع أن توافق السلطات السوفياتية على مغادرة مليون يهودي حتى تموز/ يوليو المقبل."<sup>(20)</sup>

إن جميع هذه التوقعات تبقى في إطار تكهنات تعتمد على مسارات حالية، من دون مراعاة أية تطورات طارئة أو مستجدة، ناهيك بأن أحداً لا يستطيع أن يعرف كم من المهاجرين الجدد سيبقى في إسرائيل وكم سيرحل عنها. أو هل سيتخذ المهاجرون السوفيات إسرائيل محطة لهم ثم ينطلقون منها إلى عالم آخر في أحوال مؤاتية. ينفي ناتان شيرانسكي، وهو أحد المهاجرين السوفيات الذين نشطوا داخل الاتحاد السوفياتي في التحريض على هجرة اليهود السوفيات إلى إسرائيل وأمضى بضعة أعوام في السجن، أن في نية المهاجرين السوفياتي استخدام إسرائيل محطة عبور إلى الولايات المتحدة؛ إذ يرى أن "التجربة تدل على أن أكثر من ٩٣٪ من مهاجري روسيا، الذين وصلوا إلى إسرائيل خلال السنوات العشرين الأخيرة ووجدوا

(16) نقلاً عن مصادر الوزارات الاقتصادية - الإسرائيلية، "يديعوت أchronوت"، ١/٨/١٩٩٠.

(17) "معاريف"، ٤ - ١/٥/١٩٩٠.

(18) نقل هذه المعلومات موتي باسوك، "عال همشمار"، ١/١٧/١٩٩٠.

(19) "يديعوت أchronوت"، ١/٧/١٩٩٠.

(20) "دافار"، الملحق، ٢/٢٣/١٩٩٠.

مساكن وأشغالاً بقوا في البلد.... لكن إذا اكتشف المهاجرون الحاليون أن ثمة كارثة هنا في استيعابهم فسينشأ ضغط هائل على حكومة الولايات المتحدة لفتح أبوابها، وستكون هذه كارثة. وقد نتمكن، إذا عرفنا كيف نخلق هنا دينامية استيعاب سليمة، من جعل معظم المهاجرين القادمين الآن من الاتحاد السوفياتي يبقى معنا هنا في البلد." (21)

محطة جديدة

في مسيرة إسرائيل الكبرى

تعتبر الهجرة الجماعية من الاتحاد السوفياتي التي تشهدها إسرائيل الآن، في نظر المسؤولين والمنظرين الصهيونيين، محطة مهمة في تطور الكيان الصهيوني في فلسطين. فهذه الهجرة ليست حدثاً فريداً في تاريخ قيام إسرائيل؛ إذ أنها شهدت هجرة جماعية واسعة النطاق بعيد قيامها، في أواخر الأربعينات ومطلع الخمسينات. بيد أن تلك الهجرة ساهمت في تعزيز البنية البشرية للكيان الوليد، الفتى والصغير، لينطلق منها إلى الأكبر فالأوسع. وتأتي الهجرة الجماعية من الاتحاد السوفياتي بعد أربعة عقود لتعزيز البنية البشرية لإسرائيل الموسعة والكبرى، أو التي يأملون بأن تزداد اتساعاً ورقعة وحجماً، كما عبرت عن ذلك افتتاحية صحافية بقولها إن "أمام إسرائيل فرصة تاريخية من أجل توسيع شاسع لبنية المجتمع الإسرائيلي البشرية، من الناحيتين الكمية والكيفية...." (22)

لكن يتسحاق شمير، رئيس حكومة إسرائيل، كان أكثر وضوحاً في التعبير عن الآمال التي يعلقها قادة إسرائيل والصهيونية على هذه الهجرة، لجهة انتعاش الآمال الصهيونية بازدياد توسع الكيان أو تعزيز رقعته الحالية. إذ قال إنه "من أجل هجرة كبرى، هناك ضرورة لإسرائيل كبرى." (23) وتحدث شمير أيضاً عن مغزى الهجرة من الاتحاد السوفياتي بقوله إن "العقد الأخير من القرن العشرين سيتحول في تاريخ شعبنا إلى هجرة جماعية إلى إسرائيل، وقد بدأت براعمها تظهر الآن. إنها ستغير وجه الدولة وطابع الشعب اليهودي بأسره، وستشكل مساهمة جديّة لرؤيا عودة

(21) من حديث أجراه دان شيلون، "يديعوت أحرونوت"، ١٢/١/١٩٩٠.

(22) "هآرتس"، ١٥/١/١٩٩٠.

(23) من حديث مع مهاجرين جدد في ريشون لتسيون، "عال همشمار"، ١٧/١/١٩٩٠.



صهيون. ”(24) ثم عاد شمير فكرر قوله: ”إننا بحاجة إلى شعب إسرائيل كبير، ودولة كبيرة وقوية....“ (25)

## الهجرة السوفياتية واستنهاض يهود العالم

يبدو أول وهلة أن الهجرة اليهودية الجماعية من الاتحاد السوفياتي نزلت هبة من السماء على إسرائيل والحركة الصهيونية، لجهة استنهاض يهود العالم في أعقاب الفتور الذي ساد بينهم وبين إسرائيل خلال العقد الماضي. وكانت إسرائيل والحركة الصهيونية قد نجحتا، قبيل حرب ١٩٦٧، في استنهاض اليهودية العالمية التي لبت النداء بعد أن كادت تدير ظهرها لإسرائيل. ومنذ ذلك الحين فشلت إسرائيل في إثارة يهود العالم بالمستوى نفسه. غير أنها تأمل الآن بانتهاز فرصة السماح لليهود السوفيات بالمغادرة من أجل حث يهود العالم على تذكر إسرائيل بالمال والدعم السياسي والمعنوي على نطاق واسع. إذ يبدو جلياً أن إسرائيل، بأزماتها ذات الشقين السياسي والاقتصادي، غير قادرة على استيعاب أعداد كبيرة من اليهود السوفيات من دون مساعدة يهود العالم. (26)

وقد وجه يتسحاق شمير نداء إلى يهود العالم بقوله: ”إننا سنجد الشعب اليهودي بأسره، غير المجند بعد، لأنه غير مدرك لحجم المشكلة....“ (27) وقال شمير:

إذا كان الشعب في إسرائيل يقدم أقصى طاقته للاستيعاب، فلنا القوة الأدبية كي نطلب من الجمهور في أميركا وأوروبا ومن الشعب اليهودي أن يبذلوا المزيد. إنني واثق بأننا إذا جئنا بقوة الإقناع هذه، وبقوة الإيمان هذه، فسوف يستجيبون لنا، وسوف تتوفر لنا الإمكانيات، وسنجد الطرائق لتنظيم وتكتيل شعب كبير وقوي في وقت قريب جداً. إننا بحاجة إلى شعب إسرائيل كبير ودولة كبيرة وقوية. جئنا كي نعيش هنا بسلام وأمن. والأمر الأهم الذي يجب أن يتكفل حوله اليوم شعب إسرائيل كله، بشرائحه وأحزابه وأوساطه، هو

(24) من حديث له خلال اجتماعه إلى وزير الاستيعاب في مكتبه في القدس، ”عال همشمار“، ١٩٩٠/١/١٧.

(25) من تصريح أدلى به في مراكز استيعاب المهاجرين في القدس، ”دافار“، ١٩٩٠/١/٢٤.

(26) عاليزا فالخ، ”دافار“، ١٩٩٠/١/١٧.

(27) ”دافار“، ١٩٩٠/١/٢٤.

موضوع الهجرة والاستيعاب. وأمامنا فرصة لتجديد قوى الشعب اليهودي...  
إذا فعلنا ذلك سننجح، وسنحقق هدفنا الأهم...<sup>(28)</sup>

## تكلفة استيعاب

### يهود الاتحاد السوفياتي

بحسب تقديرات وزارة المال الإسرائيلية انه إذا وصل في هذه السنة أكثر من ١٠٠ ألف مهاجر، فستكون هناك ضرورة لجمع ملياري شيكل (مليار دولار تقريباً) لاستيعابهم - بناء مساكن ومدارس وبنية تحتية، وتوفير أماكن عمل، واستبدال مهنهم - في مقابل مليار شيكل خصص لاستيعاب ٤٠ ألفاً هذه السنة وفق التقديرات السابقة.<sup>(29)</sup>

وبحسب أوري غوردون، رئيس دائرة الهجرة في الوكالة اليهودية، أنه إذا وصل إلى إسرائيل خلال العامين المقبلين ٢٥٠ ألف مهاجر، فسيلزم لاستيعابهم ٤ مليارات دولار. "وهذا الإنفاق العام الهائل سيؤثر أيضاً في مجال النمو."<sup>(30)</sup> ويقول وزير الاستيعاب، يتسحاق بيرتس، إن "دولة إسرائيل ستحتاج، خلال السنوات الثلاث المقبلة، إلى مبالغ طائلة يصعب تقديرها بدقة. لكن من الواضح أن المقصود هو ١٠ مليارات دولار لاستيعاب مئات الآلاف من المهاجرين الذي سيصلون من الاتحاد السوفياتي ومن دول أخرى."<sup>(31)</sup>

ومصادر التمويل، سواء للإنفاق على الحروب التي تشنها إسرائيل، أو لدفع جماهير المهاجرين إلى فلسطين، لم تتغير منذ إقامة إسرائيل حتى الآن؛ إنها يهود العالم والولايات المتحدة:

١- "الجباية اليهودية الموحدة": وهي الأداة الرئيسية لجمع الأموال. إذ تسعى الوكالة اليهودية لحمل "الجباية الموحدة" على مضاعفة جمع الأموال مثني وثلاثاً لتدفع إلى

(28) المصدر نفسه.

(29) "يديعوت أchronوت"، ١٩٩٠/١/٨.

(30) "هآرتس"، ١٩٩٠/١/١١.

(31) "دافار"، ١٩٩٠/١/١٨.

صندوق الوكالة ٥٠ سنتاً من كل دولار تجمعه بدلاً من ٣٤ سنتاً حتى سنة ١٩٨٥، على حد قول مدير شطريت أمين صندوق الوكالة.<sup>(32)</sup>

اتخذت "الجباية الموحدة" قراراً بالقيام بجباية خاصة لاستيعاب يهود الاتحاد السوفياتي يطلق عليها "حملة إكسودوس ٢". وصرح غوردون أنه في ضوء "الواقع الجديد" الذي نشأ بعد هجرة عشرات الآلاف من المهاجرين من الاتحاد السوفياتي، ستطلب "الجباية" من الوكالة أن يكون هدف "إكسودوس ٢" جمع ٧٥٠ مليون دولار خلال خمس سنوات، أو ٥٠٠ مليون دولار خلال ثلاث سنوات. كما أن الوكالة اليهودية تطلب من "الجباية" أن تجمع ٢٥٠ مليون دولار من سائر دول العالم بدلاً من ١٥٠ مليون دولار كما كان متفقاً عليه في السابق. وتطالب الوكالة بأن يكون توزيع الأموال ٥٠٪ لإسرائيل، و ٥٠٪ لأغراض أخرى في الخارج.<sup>(33)</sup>

أخيراً، توصلت الوكالة اليهودية و "الجباية الموحدة" إلى اتفاق يقضي بأن يتكفل يهود العالم بالتبرع بـ ٢٠٠ مليون دولار سنوياً خلال السنوات الثلاث المقبلة، وذلك علاوة على الجباية العادية. وقال سيمحا دينتس أن يهود الولايات المتحدة سيتبرعون بـ ١٤٠ مليون دولار في السنة خلال السنوات الثلاث المقبلة، أي ما مجموعه ٤٢٠ دولار، ويهود سائر دول العالم بـ ١٨٠ مليون دولار. وتابع دينتس أن "هذه أكبر جباية موحدة في تاريخ الجبايات من أجل إسرائيل، وهي ناجمة عن انقلاب في التفكير اليهودي الأميركي تجاه هذا الموضوع.... إنها تضع إسرائيل مرة أخرى في مركز النشاط اليهودي الأميركي."<sup>(34)</sup>

وقد تعهدت "الجباية الموحدة" في كندا بجمع ٦٠ مليون دولار على الأقل في إطار "جباية طوارئ" لاستيعاب موجة الهجرة من الاتحاد السوفياتي. وصرح رئيس الجباية في كندا أنه تم جمع مبالغ تفوق ٥٠٪ من التبرعات العادية في إطار "جباية الطوارئ".<sup>(35)</sup>

(32) "عال همشمار"، ١٠/١/١٩٩٠.

(33) "دافار"، ١٦/١/١٩٩٠.

(34) "معاريف"، ١٨ - ١٩/١/١٩٩٠.

(35) "هآرتس"، ٢١/١/١٩٩٠.

وكان موشيه هليل رئيس الصندوق التأسيسي قد أعلن حملة تبرعات تحت شعار "استوعبت مهاجراً في إسرائيل ١٩٩٠" (36) وقد جمع الصندوق التأسيسي خلال شهرين من حملة الطوارئ ١٨ مليون دولار (37).

## ٢- المساعدات الخاصة من حكومة الولايات المتحدة، وتبلغ ٤٠٠ مليون

دولار، علاوة على المساعدات السنوية العادية التي تبلغ ٣ مليارات دولار.

## ٣- مصادر تمويل "محلية" تعتمد، في الدرجة الأولى، على اقتطاعات من بنود

الميزانية العامة في إسرائيل، كما يقترح أبراهام شوحيط، رئيس لجنة المال في الكنيست، (38) أو على اقتطاع من "ميزانية الأمن" مبلغ ٦٠٠ مليون دولار، كما يوصي يوسي بايلين نائب وزير المال. (39)

ويذهب البعض إلى اقتراح فرض قرض إجباري داخلي، والحصول على قروض خارجية بشروط مريحة، وبيع شركات حكومية، وزيادة الضرائب المباشرة وغير المباشرة، وخفض مستوى المعيشة.

والخلاصة: أن إسرائيل لن تجد صعوبة في إيجاد مصادر تمويل استيعاب اليهود السوفياتي المهاجرين. ويبقى السؤال قائماً: هل ستتمكن إسرائيل من توفير إمكانات الاستيعاب الأخرى لهذه الأعداد الكبيرة، وهل هي متأهبة لذلك؟

### إمكانات الاستيعاب - الفصل محظور

من اللافت أن الهجرة الجماعية السوفياتية دهمت إسرائيل في ذروة انشغالها بقمع الانتفاضة في المناطق المحتلة، وما نجم عنها من أزمة اقتصادية عطلت الكثير من المشاريع الإنشائية والإنتاجية. إلا أن بعض الأوساط، الرسمية وغير الرسمية، حريص على نفي وجود صعوبات جدية أمام الاستيعاب. وثمة من يؤكد أن "الوكالة اليهودية ووزارة الاستيعاب مستعدتان لاستيعاب كل يهودي يريد المجيء إلى إسرائيل". (40) وقد أعلن يوسي بايلين، نائب وزير المال، أنه "لا يجوز خلق انطباع بأنه

(36) المصدر نفسه.

(37) المصدر نفسه، ١٢/١/١٩٩٠.

(38) المصدر نفسه، ١٨/١/١٩٩٠.

(39) المصدر نفسه، ٢٥/١/١٩٩٠.

(40) يوسف غاليلي، "عال همشمار"، ٤/١/١٩٩٠.

سيكون هناك مهاجر واحد لن يتمكن من القدوم إلى البلد بسبب النقص في المساكن أو في الأشغال<sup>(41)</sup> وشمعون بيرس، وزير المال، نفسه غير قلق إزاء مسألة الاستيعاب حتى أنه ذهب إلى حد القول: "حتى لو أحجم يهود العالم عن المساعدة في استيعابهم، فإننا سنفعل ذلك وحدنا"، لأن "هذه الهجرة مهمة وغالية." وأعاد بيرس إلى الأذهان أن إسرائيل استوعبت في سنة ١٩٤٨ و سنة ١٩٥١ أكثر من ٦٥٠,٠٠٠ نسمة "ما يزيد على عدداً آنذاك."<sup>(42)</sup>

ويأتي الجواب من أوري غوردون أن استيعاب المهاجرين خلال الخمسينات كان بمثابة "هدف قومي"، و"عمل مهم وحيوي، سواء من الناحية الفكرية أو من الناحية الكيانية." أما الآن، فإن "الشعب في إسرائيل غير مستعد للتضحية في سبيل أي هدف قومي"، إذ ان "كل واحد يعمل لنفسه."<sup>(43)</sup>

ويحذر جادي ياتسيف من التيمّن بهجرة الخمسينات بسبب الفوارق بين الأوضاع التي كانت سائدة آنذاك والأوضاع الحالية: "في ذلك الحين، كانت الأوضاع مغايرة، والمهاجرون مختلفين. وكانت النسبة بين مستوى المعيشة المنخفض للفرد نسبياً وبين حجم مبالغ المساعدات الخارجية مختلفة تماماً. وكانت مكانة إسرائيل في نظر يهود العالم مختلفة تماماً أيضاً. وعلاوة على ذلك، فإن البدائل التي كانت لدى المهاجرين الجدد آنذاك مغايرة كلياً للبدائل لدى المهاجرين الجدد حالياً."<sup>(44)</sup>

إضافة إلى ذلك، يحذر البعض من أن إسرائيل غير مستعدة لاستيعاب المهاجرين اليهود السوفيات، وذلك بسبب "عدم وجود تخطيط شامل لهذه المهمة حتى الآن... لسنا مستعدين، لا في مجال السكن ولا في الأشغال."<sup>(45)</sup> ناهيك بأن توقيت الهجرة الجماعية لم يكن ملائماً كما يقول أمنون روبنشتاين: "أن هذه الهجرة جاءتنا في وقت عسير: مزيج من الجمود السياسي والانكماش الاقتصادي ليس أرضاً خصبة لهجرة جماعية. يصل إلينا آلاف المهاجرين - وسوف يصل عشرات الآلاف - في فترة

(41) نقل تصريحه هذا جدهون ألون، "هآرتس"، ١٥/١/١٩٩٠.

(42) "دافار"، ٩/١/١٩٩٠.

(43) "عال همشمار"، ٧/١/١٩٩٠.

(44) جادي ياتسيف، "استيعاب مهاجرين بمفاهيم جديدة"، عال همشمار، ١٤/١/١٩٩٠.

(45) أوري غوردون، "عال همشمار"، ١١/١/١٩٩٠.

بطالة وارتفاع كبير في أسعار الأراضي والمساكن<sup>(46)</sup> ومن هنا، توجه أصابع الاتهام إلى الحكومة إذ يتهمها أعضاء كنيست من المعراخ والليكود معاً بـ"تقصير صارخ" على صعيد استيعاب المهاجرين. وقد حذر أحدهم من أنه "إذا لم تبدأ الحكومة بالنظر في الموضوع بالجدية التي يستحقها، فإن هذا سيكون نهاية الصهيونية"<sup>(47)</sup> وحذر غوردون من فشل الاستيعاب وعواقبه الوخيمة، فقال: "إذا لم ننجح في اختبار الهجرة الحالي، فسيتضرر جوهر الدولة كلها. وسيحول الفشل إسرائيل إلى توأم ضخم وقبيح لمعسكر الانتقال في لاديسبولي في إيطاليا"<sup>(48)</sup>

ومن الدلائل التي لا تبشّر باستيعاب ناجح لليهود السوفيات، ما كشفت عنه دراسة أعدتها دائرة الانعاش والعمل في الهستدروت، من أن ٥٠٪ من المهاجرين الجدد من الاتحاد السوفياتي حصلوا في إسرائيل على أعمال أدنى مستوى من الأعمال التي كانوا يقومون بها في الاتحاد السوفياتي. وتذكر الدراسة أن مهندسين كثيرين من مهاجري الاتحاد السوفياتي اليهود يعملون فنيين، وعلماء يستخدمون موظفي مختبرات<sup>(49)</sup>

## الاستعدادات لاستقبال

### موجات الهجرة الجديدة

على الرغم من الارتباك الذي يسود الجهات المسؤولة عن الاستيعاب والوزارات الاقتصادية، وما تخلل نشاطاتها من ارتجال، فقد اتخذت بضع خطوات في اتجاه الاستيعاب:

(أ) إقامة "هيئة عليا" في ديوان رئيس مجلس الوزراء للتنسيق بين وزارات الحكومة المختلفة بشأن موضوعات الهجرة والاستيعاب. وقد وافق شمعون بيرس على إقامة مثل هذه الهيئة، واعترض عليها وزير الاستيعاب كونها تشكل تجاوزاً لصلاحيته وازدواجية في الإدارة.

(46) "هآرتس"، ٢٩/١/١٩٩٠.

(47) "دافار"، ٩/١/١٩٩٠.

(48) "عال همشمار"، ١١/١/١٩٩٠.

(49) "دافار"، ٩/١/١٩٩٠.

(ب) وضع خطة لبناء ٦٠,٠٠٠ وحدة سكنية، لاستيعاب موقت لمهاجرين جدد من الاتحاد السوفياتي. وبحسب خطط الوكالة اليهودية ووزارة الاستيعاب تم تحديد أماكن استيعاب في بعض الفنادق وبيوت الضيافة وبيوت الشبيبة ومراكز الاستيعاب في الكيبوتسات. وتدير الوكالة اليهودية حالياً ٣٨ مركز استيعاب، تتسع لـ ٩٠٠٠ مهاجر. كما تستعين بعاملين اجتماعيين للمساعدة في دمج المهاجرين في المجتمع. وسيتم توسيع نشاط الوكالة في مجالات الاستيعاب الاجتماعية، مثل تعليم اللغة العبرية والتعليم التكميلي.

(ج) الاستعانة بالجيش الإسرائيلي، لوضع بعض معسكراته في تصرف المهاجرين، ولو بصورة مؤقتة. علماً بأن بعض الأوساط العسكرية صرح أن هذا الإمكان غير عملي ولا يشكل حلاً جدياً لاستيعاب مهاجرين في التسعينات. غير أن دان شومرون، رئيس هيئة الأركان، صرح أن الجيش الإسرائيلي يعتبر استيعاب المهاجرين الذين يصلون هذه الأيام إلى إسرائيل "مهمة قومية من الدرجة الأولى". وأشار إلى أن الجيش سينخرط في عملية الاستيعاب الاجتماعي للمهاجرين، والمساعدة في تعليم اللغة العبرية. ويدرس الجيش الآن انعكاسات الهجرة الجماعية عليه.<sup>(50)</sup>

(د) لجوء بعض المؤسسات العلمية إلى اتخاذ بعض الخطوات لاستيعاب الكفاءات العلمية. فقد رصدت الأكاديمية الإسرائيلية للعلوم، مثلاً، ٦,٣ ملايين دولار لاستيعاب علماء كبار من الاتحاد السوفياتي في الجامعات الإسرائيلية. وصرح الأستاذ يهوشوا يوتنر، رئيس الأكاديمية، أنه سيتم في المرحلة الأولى - بحسب خطة الأكاديمية - استيعاب ١٥ عالماً رئيسياً في المجالات العلمية المختلفة. وقال انه سيكون لاستيعابهم أهمية كبيرة بالنسبة إلى نظام التعليم والأبحاث، ولا سيما في وقت يتطلب توسيع البنية التحتية لاستيعاب علماء شبان. وسوف يحصل العلماء الذين سيتم اختيارهم على هبات للأبحاث وقروض للسكن لمدة خمسة أعوام.<sup>(51)</sup> ووضعت جامعة "بن - غوريون" في النقب خطة لاستيعاب ١٠٠٠ طالب وأكاديمي مهاجر من الاتحاد السوفياتي. وقد وضعت الخطة على أساس أن ٣,٦٪ من

<sup>(50)</sup> "هآرتس"، ١٥/١/١٩٩٠.

<sup>(51)</sup> المصدر نفسه، ٥/١/١٩٩٠.

المهاجرين هم طلبة<sup>(52)</sup>. وقد صرح رئيس الجامعة، الأستاذ حاييم إيالات، أنه تم وضع برنامج لتأهيل أكاديميين مهاجرين للتكيف إزاء أوضاع الحياة في إسرائيل، وخصوصاً في النقب، من أجل تطوير المنطقة بواسطة استيعاب المهاجرين. وسوف يتم تأهيل المهندسين للتدريس في الجامعات في موضوعي العلوم والتكنولوجيا. وأعدّ أيضاً برنامج خاص أطلق عليه "مستنبت لمبادرات صناعية"، يستطيع العلماء عبره تطوير براءات اختراع وعرضها على الصناعة الإسرائيلية للإنتاج والتصنيع. وسوف تقدم تسهيلات إلى مثل هؤلاء العلماء<sup>(53)</sup>.

كما يساهم معهد "أورت" التقني، التابع للمنظمة الصهيونية، في إعداد دورات ملائمة لأكاديميين ومهندسين. وصرح رئيس المعهد أن شبكة "أورت" ستزيد في عدد دوراتها ليصل إلى ١٠٠ دورة في العام المقبل. كما سيتم تأهيل ٣٠٠٠ مهاجر، علاوة على الـ ٥٠٠ الذين تخرجوا من المعهد خلال العام الماضيين<sup>(54)</sup>.

أين سيقطن المهاجرون؟

السؤال الكبير الذي يطرح نفسه في خضم الصخب الإسرائيلي - الصهيوني والعربي والدولي، تجاه قضية هجرة اليهود السوفيات إلى إسرائيل، هو: أين سيقطنون، وأية مناطق سيشغلون؟ أين ستضع إسرائيل ربع المليون أو نصف المليون أو المليون يهودي الذين تأمل بأن يدقوا أبوابها ولن يخرجوا منها، بعد إغلاق الباب الأميركي أمامهم؟

توحي الدلائل كلها بأن المناطق "الطبيعية" المرشحة لإقامة المهاجرين السوفيات هي المناطق العربية المحتلة منذ سنة ١٩٦٧. لكن، إذا افترضنا سلفاً أن سفينة المهاجرين السوفيات لم تسر وفق ما يشتهي قادة إسرائيل والصهيونية، وحالت أوضاع دولية وإقليمية ومحلية دون إسكانهم في المناطق المحتلة، فأين سيقومون؟ طبعاً، يفضل اليهود السوفيات الإقامة في المدن الكبرى أو حولها، أي في المنطقة الوسطى التي تسمى "منطقة دان". إنهم يفضلون الاستقرار في تل أبيب

(52) المصدر نفسه، ١٩٩٠/١/١٥.

(53) المصدر نفسه.

(54) المصدر نفسه.



والقدس ويافا وحيفا والخضيرة ورحوفوت إلخ، قريباً من مراكز العمل والتوظيف ومعاهد التعليم. لكن هذه المناطق هي الأكثر اكتظاظاً وكثافة في السكان، ولا تتسع لأعداد كبيرة، حتى لو استوعبت بضع نسب مئوية (مثلاً: أعرب رئيس بلدية נתانيا عن استعداد بلده لاستيعاب ٣٠ ألف مهاجر).<sup>(55)</sup> وحتى لو استوعبت المدن الأخرى بضع نسب مئوية أخرى، فأين سيذهب الباقون؟ هل سيتوجهون إلى النقب الصحراوي؟ وهل هذا سيوفر لهم ما حلموا به من رغد العيش واليسر في بلد "العسل واللبن" لا في أرض الرمال المتحركة في النقب؟ وهل وفر النقب هناء العيش لمن أقاموا فيه قبل ذلك؟ وهل حقق "الاستيطان اليهودي" في النقب أهدافه؟ وهل تحقق حلم بن - غوريون بتوطين النقب بالملايين؟

وإذا لم يكن في النقب وفي الوسط، يبقى الجليل!

يقول مدير شطريت المراكشي، أمين صندوق الوكالة اليهودية، إن من الخطأ توطين المهاجرين السوفيات بين "غديرة والخضيرة" - أي في وسط البلد - بسبب عدم توفر فرص العمل، بل يعتقد أنه "يجب توطين المهاجرين في مكانين: الأول في النقب، والثاني في الجليل"، حيث "الانتفاضة تزحف إلى الجليل أيضاً، لأنهم [العرب] في اللحظة التي يدركون أنهم أكثرية هناك، فلا سبب في ألا يكون هناك غليان شبيه. لكن هذا الأمر يمكن أن يتغير متى أصبح في الجليل أكثرية يهودية..."<sup>(56)</sup>

طبعاً، يعتبر الجليل أحد الأماكن المرشحة لإسكان اليهود السوفيات، وذلك انسجاماً مع سياسة "تهويد الجليل" التي تتطلب انتهاج سياسة "الترحيل" و "الاقتلاع" ضد العرب الذين يشكلون الآن أكثرية فيه. وهكذا، فإن إسكان اليهود السوفيات في الجليل يقتضي مصادرة المزيد من الأراضي العربية، واختلاق كل الأسباب لترحيل العرب. وهذا قد يفضي إلى المزيد من المصادمات بين عرب الجليل والسلطة، كما حدث في "يوم الأرض". وطبعاً، ستلجأ السلطة الإسرائيلية إلى استخدام وسائل القمع والبطش ضد العرب ما دامت الدلائل على "زحف الانتفاضة إلى الجليل" قائمة في الأفق. والمعلومات أن إسرائيل لا تستطيع إسكان هذا العدد الكبير من اليهود السوفيات إلا على حساب العرب وأراضيهم وممتلكاتهم، كما فعلت في السابق. فلو لم تصادر

(55) "عال همشمار"، ١٠/١٠/١٩٩٠.

(56) من حديث أجراه معه غيدي غريشتيك، "بايرتز يسرائيل" (٢٢)، كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٩،

إسرائيل أراضي العرب، وترحل الآلاف منهم، وتهدم المئات من القرى العربية وتقيم مستعمرات على أنقاضها، هل كان في إمكانها إسكان نحو مليون مهاجر في أواخر الأربعينات ومطلع الخمسينات؟ فسياسة الهجرة، وما يقوله المسؤولون الإسرائيليون من أن إسرائيل قادرة على استيعاب يهود العالم كافة، إنما هي مرادفة لسياسة الترحيل والاقتلاع والنفي والإبعاد والتهجير. وتعني الهجرة اليهودية في القاموس الصهيوني تهجيراً عربياً. ولا بد من أن تأتي الهجرة مكان التهجير. يعتبر رئيس بلدية حيفا، آرييه غورئيل، أن مدينته "غير قادرة على الاستمرار في استيعاب عائلات المهاجرين الكثيرة التي تصل إليها كل يوم، إذ أن احتياطي المنازل السكنية في المدينة آخذ في النفاذ." غير أنه يلمح إلى أن هناك مجالاً لإسكان يهود سوفيات في جزء واحد من حيفا - وربما في مرحلة أخرى ترحيل الأقلية العربية المتبقية في المدينة وإسكان يهود سوفيات. إذ ان غورئيل "ناشد إدارة أراضي إسرائيل تخصيص أراض لبناء منازل سكنية في منطقة وادي الصليب في حيفا."<sup>(57)</sup>

لماذا يوحى بعض الإسرائيليين بـ "زحف الانتفاضة إلى الجليل؟" وما الهدف الذي ستحققه أية انتفاضة في الجليل؟ هل هذا الإيحاء قائم على وقائع على الأرض أو تحركات ملموسة، أم أنه مجرد تعبير عن أمنية صهيونية لافتحال "انتفاضة" في الجليل من أجل إيجاد مبررات الطرد والترحيل والقمع والتقتيل؟

<sup>لذا</sup> لم يكن الاستيعاب في الوسط أو الجنوب أو الجليل، فأين؟ يبقى هناك الأراضي العربية المحتلة منذ سنة ١٩٦٧ طبعاً - في الضفة الغربية وقطاع غزة والجلولان - وفي وقت لاحق في الجنوب اللبناني.

عندما تحدث يتسحاق شمير عن "هجرة كبرى" و"إسرائيل كبرى" كان يعني ما يقول - أي إسكان اليهود السوفيات في المناطق المحتلة؛ إذ قال أيضاً أن "لا علاقة بين اعتقاده أن أرض إسرائيل كلها ستكون في أيدي الشعب اليهودي، وبين السؤال عما إذا كان يريد توجيه المهاجرين للإقامة في المناطق [المحتلة] تحديداً، مشدداً على أن "المهاجرين أحرار في الإقامة حيث يريدون."<sup>(58)</sup> لكن، عندما تصاعد الاحتجاج الدولي على نية إسرائيل توطين المهاجرين السوفيات في الأراضي المحتلة، لم ينف شمير هذه

(57) "عال همشمار"، ١٧/١/١٩٩٠.

(58) المصدر نفسه.

النية بل حاول التخفيف من وطأتها، فقال: "هل أن استيطان عدد صغير من المهاجرين من الاتحاد السوفياتي عن طيبة خاطر في يهودا والسامرة وغزة يعتبر عقبة أمام السلام؟"<sup>(59)</sup> نستخلص من هذا كله أن إسرائيل لا تستطيع إسكان أعداد كبيرة من اليهود السوفيات، إلا في المناطق المحتلة. ومن هنا، فإن تدفق أعداد كبيرة من المهاجرين السوفيات إلى إسرائيل، إنما هو دافع ومبرر يجعلانها تزداد تمسكاً بالمناطق العربية المحتلة، وخصوصاً تمسك تلك الأوساط التي تسعى لجلب المزيد من يهود العالم إلى المناطق المحتلة كي تدحض حجة "العامل الديموغرافي". حتى أن شعار "مقايسة اليهود بالسلام" (بدلاً من "مقايسة الأرض بالسلام") هو شعار زائف وخادع ونقيض التوجه الصهيوني القائم على التوسع. إن إسرائيل، ولا سيما بحكامها الحاليين، لن توافق على إرجاع أراض عربية في مقابل السماح بهجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي، وخصوصاً أن الاتحاد السوفياتي فرط في هذه الورقة قبل حصوله على أية ضمانات من إسرائيل، سواء لجهة إرجاع المناطق المحتلة أو لجهة التعهد بعدم إسكان اليهود السوفيات في تلك المناطق. وإذا صحت التنبؤات بشأن أعداد المهاجرين المتوقع وصولهم خلال السنوات الثلاث المقبلة (مليون مهاجر)، فلن يبقى أمام إسرائيل من الآن وصاعداً إلا أن تستخدم مواصلة الاحتفاظ بالمناطق المحتلة حجة لإسكانهم. إذ ليس أمام إسرائيل - ما دامت مصرة على "استيعاب جميع يهود العالم" - إلا المحافظة على احتلالاتها أو التخطيط لاحتلالات جديدة في المستقبل.

### الخطوات الأولى

تحرك بعض المنظمات الاستيطانية، في المناطق المحتلة، في اتجاه إقناع اليهود السوفيات بالإقامة في المستعمرات الإسرائيلية هناك. فمثلاً، ينظم أعضاء "المجلس الإقليمي" - غوش قطيف في قطاع غزة - جولات للمهاجرين من الاتحاد السوفياتي الذين وصلوا إلى إسرائيل خلال الأشهر الأخيرة بهدف إقناعهم بالإقامة هناك. وصرح نسيم حداد، المسؤول عن الاستيعاب في غوش قطيف، أن أعضاء المجلس اتخذوا ترتيبات خاصة لاستيعاب مهاجرين من الاتحاد السوفياتي. وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد ١٥ مستعمرة في غوش قطيف.<sup>(60)</sup>

<sup>(59)</sup> المصدر نفسه، ١٩٩٠/٢/٢.

<sup>(60)</sup> "هآرتس"، ١٩٩٠/١/٣١.

والجدير بالذكر أن هذه التنظيمات تنفي أية علاقة بين تحركاتها وبين الدوائر الحكومية، تجنباً لأية ردات فعل دولية. أو أن الصحافة الإسرائيلية تنشر أنباء متواضعة عن توجه اليهود السوفيات للإقامة في الأراضي المحتلة. وثمة نموذج على مثل هذه الأخبار، خبر يفيد بأن المفروض بمهاجرين جدد وصلوا مؤخراً من الاتحاد السوفياتي الإقامة في كيبوتس ميتسار (التابع للحركة الكيبوتسية الموحدة) في جنوب مرتفعات الجولان، وتعزيز الكيبوتس الذي يعاني أزمة اجتماعية صعبة. والمقصود ٢٥ عائلة ومجموعة صغيرة من الشبان العازبين الذين يمكثون الآن في مراكز الاستيعاب وفي مستعمرات أخرى، وينتظرون الموافقة على الذهاب إلى ميتسار.<sup>(61)</sup>

وماذا بشأن الضفة الغربية؟ أفادت المعلومات بأن غوش إيمونيم، التي تتلقى الدعم من أوساط نافذة في السلطة، بذلت خلال الشهور الأخيرة مزيداً من الجهود لإحضار مهاجرين إلى الضفة؛ إذ شكلت في مستعمرات عديدة فرقاً خاصة لاستيعاب المهاجرين. ويقام في كدوميم "مركز استيعاب". وفي أريئيل وحدها تم مؤخراً إسكان ٨٠ عائلة مهاجرة من الاتحاد السوفياتي. وقد اجتمع عضو الكنيست حانان بن بورات وأحد قادة "غوش إيمونيم" إلى يتسحاق شمير للتحديث معه في "موضوع الهجرة". وقال بن بورات إن شمير وعده بأنه "لن يسمح بوقوع أي غبن في يهودا والسامرة بالنسبة إلى توزيع المهاجرين". وقال بن بورات إن المستعمرات في الضفة مستعدة الآن لإسكان مهاجرين في ١٠٠٠ وحدة سكنية.<sup>(62)</sup>

إن الاستعدادات التي تقوم بها "غوش إيمونيم" وما يسمى "مجلس يهودا والسامرة وغزة" من أجل "انخراطهما في عملية الاستيعاب"، تجري على مراحل: أنشئ في كل مجلس محلي في المستعمرات القائمة في المناطق المحتلة لجنة استيعاب متطوعة. وتتألف اللجنة من مهاجرين سوفيات قدامى. ويهدف نشاط هذه اللجان إلى "توعية جمهورنا"، وحصص مواقع المهاجرين والمساعدة في تسفيرهم، وجمع الأعتدة، والتغلب على العقبات الأخرى التي تظهر في البداية.<sup>(63)</sup>

(61) المصدر نفسه، ١٢/١١/١٩٨٩.

(62) المصدر نفسه، ١٨/١/١٩٩٠.

(63) المصدر نفسه، ٢/٢/١٩٩٠.

أما على الصعيد الرسمي، فقد أعلن دافيد ليفي نائب رئيس الحكومة ووزير البناء والإسكان، في الكنيست أن وزارته تستعد لإنجاز أعمال بناء سواء من قبل الحكومة أو من قبل القطاع الخاص، بمقدار يلبي حاجات الهجرة المتوقعة. وقال ليفي إن وزارته ستشيد ٣٠٠٠ شقة في القدس، و ٣٠٠٠ شقة أخرى في "يهودا والسامرة".<sup>(64)</sup> وكان ليفي قد صرح أنه "سيساعد مهاجري الاتحاد السوفياتي على الإقامة في مناطق أرض إسرائيل، بما فيها المستعمرات المدنية في يهودا والسامرة".<sup>(65)</sup>

عوامل مضادة

سبق أن ذكرنا أن "المكان الطبيعي" لإسكان هؤلاء المهاجرين، في نظر المؤسسة الإسرائيلية - الصهيونية، هو المناطق المحتلة. إلا إن البعض يذهب إلى الإشارة إلى استحالة إسكان أعداد كبيرة من المهاجرين في "مناطق مكدسة بجماهير فلسطينية وبقليل من اليهود".<sup>(66)</sup> وذلك للأسباب التالية: أولاً: إن المناطق المحتلة تكتظ بسكانها الفلسطينيين المتمسكين بأراضيهم، والمتشبثين بحقوقهم، والمصممين على التخلص من الاحتلال، والعازمين على عدم التفريط في شبر واحد من أرضهم.

ثانياً: إن تجربة إقامة المستعمرات الإسرائيلية في المناطق المحتلة لم تكن تجربة ناجحة وفق المعايير الصهيونية. وعلى الرغم من جميع الإغراءات التي حاولت مؤسسات الاستيطان تقديمها إلى المهاجرين، فإن هؤلاء لم يتحمسوا للذهاب إليها. وقد لا يشجع عدم نجاح هذه التجربة يهود الكتلة الشرقية على التوجه إلى المناطق المحتلة. وسوف يبقى هذا الإخفاق ماثلاً أمامهم. وقد عبر أحد المعلقين عن ذلك بقوله إن "حركات الاستيطان هي أحد أكثر الإخفاقات فداحة في عهد الدولة"، علماً بأن "حركات الاستيطان القديمة لم تنجح بسبب قيمتها النوعية، بل لأنها خدمت أهدافاً قومية بصورة ناجحة، فأقامت زراعة عصرية، ونظام إنتاج صناعي رائعاً، ونظاماً

(64) "عال همشمار"، ١١/١٩٩٠.

(65) نقل تصريحه جدعون ألون، "هآرتس"، ٢١/١٩٩٠.

(66) روفيك روزنتال، "عال همشمار"، ١٧/١٩٩٠.

اجتماعياً تربوياً وتشغيلياً، وكانت تشكل خلال فترة ما قبل الدولة عنصراً سياسياً عظيم الأهمية في تعيين حدود البلد.”<sup>(67)</sup>

وما يدل على عدم نجاح حركة الاستيطان في المناطق المحتلة، عدم إقبال المهاجرين بجماهيرهم على الإقامة هناك ما دام مصير تلك المناطق لم يحسم بعد. ويتضح من مسح قام به جدعون ألون، مراسل صحيفة “هآرتس”، أن ٢٪ فقط من مجموع المهاجرين الذين وصلوا إلى إسرائيل خلال السنوات الخمس الأخيرة، يقطنون الضفة وقطاع غزة ومرتفعات الجولان. ويتضح من عملية المسح هذه أنه هاجر إلى إسرائيل بين سنة ١٩٨٤ وسنة ١٩٨٨ نحو ٩٢,٠٠٠ مهاجر، بينهم نحو ٢٠٠٠ فقط سكنوا “وراء الخط الأخضر”.<sup>(68)</sup> ويتبين من المعطيات التي تعتمد على إحصاءات رسمية أعدتها وزارة الاستيعاب، أن المهاجرين الذي قرروا الإقامة في المناطق المحتلة شغلوا، في معظمهم، المستعمرات في الضفة الغربية وفي المناطق المجاورة للقدس. كما أن أقل من ١٠٠ نسمة انضموا خلال تلك الفترة إلى مرتفعات الجولان.<sup>(69)</sup> ومن هنا الاستنتاج الذي يتمثل في السؤال أنه إذا كان السابقون قد أحجموا عن التوجه إلى المناطق المحتلة، فلماذا سيذهب اللاحقون؟

ثالثاً: إن الدوافع الأساسية إلى توجه هذا العدد الكبير من اليهود السوفيات إلى إسرائيل ليست ناجمة عن اعتبارات “أيديولوجية” تجعلهم يتحملون شظف العيش وخطر الصدام مع سكان المناطق المحتلة العرب في ذروة انتفاضتهم. فهؤلاء اليهود لا يشعرون بأنهم يخدمون “هدفاً قومياً”. أو بحسب كلام أوري غوردون أن “الأيديولوجيا” اختفت من إسرائيل. وتابع يقول:

ليست هناك أهداف قومية تنجح في جرف الشعب. حتى أن الحروب والأخطار الأمنية التي كانت توحد الشعب في الماضي، لم تعد تؤثر في هذا الاتجاه. بل على العكس تماماً، هل يستطيع أحد أن يشير حالياً إلى هدف قومي واحد يكون الشعب مستعداً للتجند من أجله؟ هل هناك هدف واحد سيكون المواطن مستعداً للتضحية من أجله بمتطلباته الشخصية؟ إن كلاً

(67) المصدر نفسه.

(68) “هآرتس”، ٢٥/١/١٩٩٠.

(69) المصدر نفسه.

منّا يعيش اليوم من أجل نفسه، وكل مجموعة من الأفراد تعيش من أجل أيديولوجيتها الجماعية - غوش إيمونيم مثلاً، أو "السلام الآن"، أو مجموعات دينية - متمزّة. لكن أيديولوجيا قومية غير قائمة.<sup>(70)</sup>

إن الدافع الرئيسي إلى هجرة اليهود السوفيات إلى إسرائيل هو اقتصادي بالدرجة الأولى، في أعقاب الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت الاتحاد السوفياتي مؤخراً، وفي إثر العورات التي ظهرت في النظام القائم هناك. ولولم تغلق الولايات المتحدة أبوابها أمامهم بضغط إسرائيلي - صهيوني لما توجهوا إلى إسرائيل، بل إن أكثر من مائة ألف منهم كانوا سيختارون في كل سنة الذهاب إلى الولايات المتحدة.<sup>(71)</sup> كما أن التجربة السابقة واللاحقة قد أثبتتا أن نسبة ضئيلة جداً من اليهود السوفيات كانت تذهب إلى إسرائيل في السنوات الأخيرة. وكانت الأكثرية الساحقة منهم، والتي بلغت أحياناً ٨٠٪ - ٩٠٪، تذهب للاستقرار في أميركا الشمالية. إن هجرتهم إلى إسرائيل ليست "هجرة ناجمة عن محنة، وليست هجرة أيديولوجية. إنها هجرة بسيطة من بلد أوروبي شرقي إلى بلد غربي، إذ إن إسرائيل تشكل حلاً وسطاً بين تطلعات معظم المهاجرين نحو الوصول إلى الولايات المتحدة وبين إمكان الهجرة إلى هناك."<sup>(72)</sup>

رابعاً: على الرغم من أن إسرائيل تمكنت، خلال أكثر من ٢٠ عاماً من الاحتلال، من بناء بنية تحتية في المناطق المحتلة تاهباً لاستقبال عدد كبير من المهاجرين إليها - وخصوصاً اليهود السوفيات - فإن الإمكانيات الأخرى، مثل السكن وفرص العمل والمشاريع الإنشائية وغيرها، لا تزال ضئيلة نسبياً. وفي ضوء استمرار الانتفاضة وانشغال السلطة الإسرائيلية بإخمادها، ولأسباب سياسية واقتصادية واضحة، فإن هذه السلطة لا تملك الوقت الكافي لإعداد مستلزمات إسكان أعداد كبيرة من المهاجرين في المناطق المحتلة: "إن المستوطنين يدركون إدراكاً جيداً... أنهم غير قادرين مادياً على استيعاب أعداد كبيرة من المهاجرين الآن. إذ إن احتياطي المساكن في المناطق لا يكاد يكفي الآن لنحو ١٠٠٠ عائلة، بما في ذلك المباني الموقّعة

<sup>(70)</sup> أوري غوردون، "حقنة تشجيع أيديولوجية"، "عال همشمار"، ٧/١/١٩٩٠.

<sup>(71)</sup> هذا ما يؤكده اليهودي السوفياتي المنشق ناتان شيرانسكي، في حديث أجراه معه دان شيلون، "يديعوت أحرונوت"، ١٢/١/١٩٩٠.

<sup>(72)</sup> روزنتال، مصدر سبق ذكره.

و"الكارافانات". حتى إن الاستعدادات السريعة الخاصة بشراء منازل مصنعة وبيوت خشبية، ستؤول في أفضل الأحوال إلى إعداد ١٠٠٠ مسكن خلال سنة.<sup>(73)</sup> وهذا لا يعني، في أي حال من الأحوال، أن النقص في الإمكانيات سيحول دون إسكان المهاجرين الجدد في المناطق المحتلة، بل يعرقل إسكانهم فوراً ويشكل إرباكاً للحكومة الإسرائيلية وضغطاً قبل تمكنها من نقل أعداد من المهاجرين إلى المناطق المحتلة. خامساً: ثمة إجماع دولي - سوفياتي وأميركي وأوروبي ومن قبل سائر الكتل السياسية العالمية - على عدم السماح لإسرائيل بإسكان اليهود السوفيات في المناطق المحتلة. ويقضي هذا الإجماع بإعادة هذه المناطق أو القسم الأكبر منها إلى أصحابها لتشكل نواة الدولة الفلسطينية العتيدة. وربما يكون من الخطأ الرهان على هذا الإجماع؛ فالاتحاد السوفياتي، خلافاً لموقفه المبدئي، يساهم في تحقيق الحلم الصهيوني التوسعي، ويفتح أبوابه أمام خروج المواطنين اليهود قبل حصوله على أية ضمانات بتخلي إسرائيل عن المناطق المحتلة. فالموقف السوفياتي يتلخص الآن في التالي: "إننا نعارض استغلال المهاجرين من الاتحاد السوفياتي لطرد الفلسطينيين من أراضيهم"، أو استخدامهم "أداة لتنفيذ خطط غير قانونية يستنكرها الرأي العام الدولي."<sup>(74)</sup> لكن، ما نفع هذه المعارضة السوفياتية لإسكان اليهود السوفيات في المناطق المحتلة بعد أن فرط الاتحاد السوفياتي في الورقة الرئيسية؟ وكيف يمكن ضمان استجابة إسرائيل لذلك؟

إن ما ينطبق على الموقف السوفياتي يسري أيضاً على الموقف الأميركي. إذ إن الإدارة الأميركية تقدم لإسرائيل ٤٠٠ مليون دولار مساهمة منها في إسكان اليهود السوفيات في إسرائيل. لكنها تعرب عن "معارضتها الحثيثة لاستخدام أموال المساعدات الأميركية من أجل إنشاء مستعمرات في المناطق، ولا سيما توطين مهاجرين في هذه المستعمرات." وقال ناطق باسم الخارجية الأميركية: "قرأنا الأنباء في الصحف التي تفيد بأنه تم اختيار مهاجرين من الاتحاد السوفياتي للاستيطان في

(73) ليلي غاليلي، "هأرتس"، ٢/٢/١٩٩٠.

(74) من رسالة سلمها يولي فورونتسوف إلى آرييه ليفن، رئيس الفريق القنصلي الإسرائيلي في موسكو، "يديعوت أحرונوت"، ٣٠/١/١٩٩٠.



المناطق؛ إن ذلك عقبة في طريق السلام<sup>(75)</sup> فلماذا لا تحصل الولايات المتحدة على ضمانات من إسرائيل قبل أن تغدق عليها الأموال؟

من جهة أخرى، تكتفي الأسرة الأوروبية - كعادتها - بالبيانات المتواضعة التي لا ترفقها بأية خطوات عملية ضد الممارسات الإسرائيلية. في كل حال، فإن الموقف الرسمي للأسرة الأوروبية هو "عدم توطين مهاجرين في المناطق المحتفظ بها"، لأن "من شأن هذه السياسة أن تعرض إمكان حل النزاع العربي - الإسرائيلي للخطر"<sup>(76)</sup>.

### استنتاجات

من المرجح أن يكون للهجرة الجماعية اليهودية من الاتحاد السوفياتي إلى إسرائيل انعكاسات على مجمل القضية الفلسطينية، والأوضاع العامة الداخلية في إسرائيل. وعلى الرغم من أن أحداً لا يستطيع التكهّن بما ستستقر عليه هذه الهجرة كمّاً ونوعاً، وعلى الرغم من أنه يصعب التنبؤ بانعكاساتها البعيدة المدى، فإن لها انعكاسات قصيرة المدى سنحاول استشفاف خطوطها العريضة.

أولاً: بالنسبة إلى القضية الفلسطينية، جاء توقيت الهجرة الجماعية في ذروة النضال الفلسطيني للتخلص من الاحتلال، وقد تسرق هذه الهجرة بعض الأضواء المسلّطة على الانتفاضة، لإلهاء العرب والفلسطينيين بعنصر جديد وتحديدهم جديد. ففي الوقت الذي تعاني إسرائيل ضيقاً مادياً ومعنوياً من جراء الانتفاضة، تأتي الهجرة السوفياتية لتشكّل رافعة للمعنويات الإسرائيلية، وعامل إحياء للجانب العربي. "وهكذا، فإن الكتلة الشرقية هي التي وجهت الضربة الكبرى للانتفاضة"<sup>(77)</sup> والاتحاد السوفياتي، الصديق التقليدي للعرب، أقدم على خطوة بهذه الخطورة تعزز إصرار إسرائيل على عدم الانسحاب من المناطق المحتلة. ولعل إسرائيل توقع عدم السماح لليهود السوفيات بالمغادرة إلا بشرط التقدم نحو السلام.

وثمة بُعد آخر لهذه الهجرة، وله علاقة مباشرة بالجدل القائم في شأن مصير المناطق المحتلة، هو العامل الديموغرافي. إذ أن اليمين الصهيوني يستطيع أن يستخدم

(75) المصدر نفسه.

(76) "عال همشمار"، ٢/٢/١٩٩٠.

(77) بنحاس عنباري، "من هم الذين يستفزهم يتسحاق شمير"، "عال همشمار"، ٢/٢/١٩٩٠.

ورقة هجرة اليهود السوفيات كي يدلّل على أن اليسار الإسرائيلي خسر أهم أوراقه، وهو يؤيد الانسحاب من جزء من المناطق المحتلة، وهذه الورقة هي "الخطر الديموغرافي" في حال تدفق اليهود السوفيات على المناطق المحتلة. وهكذا، يأمل أنصار التوسع وضم المناطق المحتلة بأن تساهم هذه الهجرة في تغيير الوضع الديموغرافي لمصلحة طروحاتهم وتوجهات أنصار "الترانسفير" - أي ترحيل العرب لإسكان المهاجرين السوفيات مكانهم.

وهناك عامل آخر يوحي به بعض الإسرائيليين ناجم عن هذه الهجرة، ويشكل ضرراً مباشراً للانتفاضة؛ وهو يتعلق بالعمال العرب. ففي تقدير هذا البعض من الإسرائيليين، أن إسرائيل تستطيع الآن الاستغناء عن عمال المناطق المحتلة، ولن تحتاج إلى عمال أجانب أيضاً. وفي الوقت نفسه، يمكن توفير فرص عمل للمهاجرين السوفيات "غير المدللين"، تساهم في استيعابهم. وبحسب المعطيات المتوفرة لدى يوسف بايلين، نائب وزير المال، أنه يمكن توفير فرص عمل لـ ٣٥ ألف مهاجر (يعيلون نحو ٨٠ ألف نسمة): "١٥ ألف مكان عمل سيشغر بعد الاستغناء عن العمال الأجانب (من البرتغال وغيرها)، و ١٥ ألف مكان عمل بعد الاستغناء عن قسم من عمال المناطق المحتلة..."<sup>(78)</sup>

ثانياً: سيكون لهجرة اليهود السوفيات انعكاسات مباشرة على مجمل الوضع الداخلي في إسرائيل، اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وعسكرياً. وقد تحمل هذه الانعكاسات طابعاً سلبياً في بعض جوانبها الاجتماعية، إلا إن الطابع الإيجابي سيبقى غالباً.

على الصعيد الاقتصادي، فإن الاستعدادات لتوفير وسائل الاستيعاب للمهاجرين الجدد، من سكن وأشغال وغيرها، والأموال التي ستتلقها إسرائيل من يهود العالم والجهات الدولية الأخرى (سيتلقى كل مهاجر ٣٧ ألف دولار)، ستحرك عجلة الاقتصاد والإنتاج بصورة خاصة. وهذا قد يؤدي إلى زيادة النمو الاقتصادي المتوقف حالياً، وتوفير مصادر عمل جديدة بعد انتشار البطالة الواسعة حالياً. والمعروف أن الهجرة الجماعية، التي تضم أكثر من نصفها من الأكاديميين، تشكل زخماً كبيراً في اتجاه تغيير بنية الاقتصاد وتوفير أحوال مغرية للمستثمرين من أجل

(78) عوزي بنزيمان، "هآرتس"، ١٢/١/١٩٩٠.

إقامة صناعات متطورة للتصدير. وهذا قد ينعكس إيجاباً على الميزان التجاري وميزان المدفوعات.

وعلى الصعيد السياسي الداخلي، فمن المعروف تقليدياً أن اليهود السوفيات، ويهود الكتلة الشرقية عادة، هم أكثر تطرفاً في آرائهم السياسية من يهود الغرب. وهذا سوف يعزز المعسكر اليميني المتطرف في إسرائيل. وكما يقول اليهودي السوفياتي المنشق، ناتان شيرانسكي: "إن الهجرة الحالية أكثر يمينية بآرائها السياسية. فمهاجرو الاتحاد السوفياتي لا يؤمنون بإمكان التوصل إلى اتفاقات سلام مع دول توتاليتارية... وهذا ناجم عن تجربة حياتية طويلة في دولة توتاليتارية. نحن الخارجين من الاتحاد السوفياتي أكثر تشككاً من سكان إسرائيل القدامى إزاء إمكان التوصل إلى اتفاقات مع العالم العربي."<sup>(79)</sup>

وعلى الصعيد العسكري، فإن اليهود السوفيات سيشكلون مستودعاً بشرياً يمد الآلة العسكرية الإسرائيلية بطاقات جديدة ودم جديد.

أما على الصعيد الاجتماعي، فقد لا تكون الانعكاسات كلها إيجابية. إذ إن هذه الهجرة قد تحمل في طياتها بذور صراعات جديدة في المجتمع الإسرائيلي، لأن اليهود السوفيات سيعززون المعسكر الأشكنازي في إسرائيل، الأمر الذي سيجعل المعسكر السفارادي (اليهود الشرقيين) يقلق على مستقبله بعد أن كاد يشكل الأكثرية في المجتمع الإسرائيلي. وليس من المستبعد أيضاً أن يتعزز المعسكر الديني لأن الأكثرية اليهود السوفيات متدينة، الأمر الذي قد يعزز أيضاً الصراع بين العلمانيين والمتدينين. ثم إن متطلبات استيعاب المهاجرين السوفيات، بهذه الأعداد الكبيرة، ستحتّم خفض مستوى معيشة الشرائح الفقيرة والمتوسطة في المجتمع الإسرائيلي. وهذا من شأنه أن يسبب جواً من الحسد والاستياء لدى تلك الشرائح التي قد تشعر بأن اليهودي السوفياتي جاء ليتقاسم "الغنائم" معها.

في كل حال، فإن الانعكاسات الإيجابية لهجرة اليهود السوفيات على المجتمع الإسرائيلي، بصورة عامة، ستبقى هي الغالبة. وقد عبر أوري غوردون عنها بقوله:

يشكل يهود الاتحاد السوفياتي بنك الدم الحقيقي الوحيد المتوفر اليوم لدولة إسرائيل. إذ إنهم يتميزون بالتنوع والإبداع. فنسبة الأكاديميين

(79) من حديث لمراسل "يديعوت أحرونوت"، ١٢/١/١٩٩٠.

فيهم عالية. وليس مصادفة أن ٢٠٪ من المهندسين في البلد متحدرون من الاتحاد السوفياتي، وأن ٢١٪ من مدرّسي الموسيقى، و ١٨٪ من الأطباء، هم من مهاجري الاتحاد السوفياتي. لذلك، فإن هجرة بضع عشرات من الآلاف ستوفر الزخم الضروري للاقتصاد، وستشكل طاقة بشرية محتملة لتطوير الصناعة وتعزيزها. وهي سترصّ الصفوف، وستشكل عملية حقن المجتمع الإسرائيلي بالهمّة والنشاط.<sup>(80)</sup>

---

(80) "عال همشمار"، ٣٠/١٠/١٩٨٩.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>